

## متى يصبح للكلام معنى؟



02 يونيو 2020 - 10:08

طلال عوكل

كالعادة، حين يتعرض الشعب الفلسطيني وحقوقه إلى انتهاك صارخ من قبل إسرائيل، تكثر الدعوات والمطالبات بإنهاء الانقسام الفلسطيني ومن دون شرح طويل حول خطورته. نظرياً وعملياً يتفق كل الفلسطينين على رفض ما يسمى بـ "صفقة القرن"، بكل فصولها التي تم تنفيذها والتي تنتظر، ولكن هذا الاتفاق العام، ينطوي على ثغرة كبيرة في ظل استمرار الانقسام، فلا استراتيجية وطنية موحدة، ولا برنامج نضالي موحد، ولا آليات تحرك متفق عليها.

من الواضح أن الاتفاق على رفض "صفقة القرن"، وعنوانها الراهن "خطة الضم"، لا يبرر ولا يعفي أحداً، أو يمنح أحداً صك البراءة إزاء المسؤولين عن استمرار الانقسام. أكثر من هذا، لا تتفهم الفصائل مدى أهمية السياسة المتبعة لمواجهة "الصفقة" و"خطة الضم"، السلطة وحركة "فتح"، والمنظمة بما هي عليه، تجتهد في تشكيل جبهة عالمية لمنع تنفيذ قرار الضم، وتواصل خطابها السياسي والدبلوماسي من المجتمع الدولي.

وفي هذا السياق تشير مصادر مختلفة إلى أن السلطة قدمت لـ "الرباعية الدولية" خطة بديلة لـ "صفقة القرن"، كخط اعتراضي، ولتحشيد المجتمع الدولي للعمل من أجل إفشال ما تبقى من "صفقة القرن"، باعتبارها تشكل خرقاً فاضحاً للقانون الدولي.

إنه خطاب الضحية، من دون عنجهية، في مواجهة خطاب الغطرسة، وتحدي القانون الدولي من قبل دولة الاحتلال.

ينتج هذا الخطاب، تظاهرات عارمة في سبع عشرة مدينة إيطالية، رفضاً للضم. وينتج هذا الخطاب قراراً للبرلمان البلجيكي يرفض قرار الضم ويدعو الحكومة لاتخاذ إجراءات عقابية في حال تنفيذ الضم. وينتج هذا الخطاب، حراكاً واسعاً في الولايات المتحدة الأمريكية، من تصريحات للمرشح الديمقراطي للرئاسة جو بايدن إلى توقيع العشرات من أعضاء الكونغرس عريضة تتضمن رفضاً لقرار الضم، ومحاولات أولية من قبل أعضاء آخرين يجمعون توقعات جديدة تنطوي على عقوبات وتطالب بخصم ما يصرف على المستوطنات من المساعدة الأمريكية لإسرائيل البالغة 3,8 مليار دولار سنوياً. وينتج هذا الخطاب موقفاً واضحاً من قبل صديق إسرائيل رئيس الوزراء البريطاني بوريس جونسون، يعبر فيه عن قلقه من أن هذه المخططات لن تحقق لإسرائيل أهدافها من تحديد حدود لدولة إسرائيل، بل ستضرب المصالح الإسرائيلية على المدى البعيد.

جونسون هو الآخر يعتبر الضم مخالفاً للقانون الدولي، ويتمنى أن لا يخرج للعن، وإلا فإنه لن يعترف بالتغيير على حدود 1967، سوى ما يتم الاتفاق عليه بين الطرفين.. هذا المنتج يشكل جزءاً من مواقف وردود أفعال المجتمع الدولي، والأهم من بين هؤلاء، أصدقاء إسرائيل تاريخياً، وهم لا يزالون يبدون حرصاً شديداً على بقاء وتفوق الدولة العبرية.

هي بداية تشكل وعياً عالمياً إزاء المخاطر التي تنجم عن السياسة الإسرائيلية التوسعية العنصرية، وبداية تفهم أعمق للرواية الفلسطينية على الأقل كما تطرح اليوم، والتي تقوم

على اجتراء الحقوق الفلسطينية إلى ما تقرره الشرعية الدولية.

لسنا بصدد استعراض كل ردود الفعل والمواقف عربياً وإسلامياً ودولياً على قرار الضم، الذي يصرّ نتياهو على تنفيذه، حتى لو أنه لم ينجح في أن يفعل ذلك في اليوم الذي حدده سابقاً وهو الأول من تموز الجاري.

وفي المقابل فإن الخطاب الجذري الثوري الذي تتنادي به بعض الفصائل ويلحقها العديد من الكتاب، والذي يطالب المنظمة بقلب الطاولة كلياً ودفعة واحدة، يظل مفيداً، ولكنه يفتقر إلى الخبرة السياسية، ويتجاهل مدى أهمية الدور الدولي، الأمر الذي قد يفهم البعض منه، انه يستهدف توريث الآخر الفلسطيني، أو التعليم عليه. من المناسب، جداً أن تكون المعارضة متشددة وأن تواصل تأكيدها على الأبعاد الاستراتيجية وخطاب الحقوق الكاملة للشعب الفلسطيني على كل أرض فلسطين التاريخية، لكن ذلك مشروط بوحدة النظام السياسي، وتفهم كل طرف للطرف الآخر، وفي اطار توزيع الأدوار وتكامل الأداء.

في الأخير فإن المعركة لمنع تنفيذ "خطة الضم"، حتى لو نجح الفلسطينيون في تحقيقها، وثمة شك كبير في ذلك، بسبب اصرار نتياهو على المضي قدماً في استغلال ما تبقى من وقت لترامب، فإن التقييم الواقعي يشير إلى أن الأمور تتدفع نحو الصراع المفتوح على كل الأرض وكل الحقوق. إذك يبدو من غير الضروري الاستعجال في المطالبة فلسطينياً بالاندفاع نحو هذه المرحلة طالما أن إسرائيل تتكفل بذلك.

المهم في هذه المرحلة، عزل إسرائيل والولايات المتحدة دولياً، ومنع إسرائيل من تحقيق اختراقات على صعيد التطبيع مع بعض العرب، وبما ينسف مبادرة السلام العربية التي أقرتها القمة العربية بالاجماع في بيروت عام 2002.

ثمة درس آخر، وهو أن ثمة ضرورة لإعادة بناء الوعي الفلسطيني والعربي في الاتجاه الذي يعيد النظر في موقع الولايات المتحدة، والتي تضع نفسها على رأس قائمة أعداء الشعب الفلسطيني وشعوب الأمة العربية، هي كانت كذلك وتستمر في ذلك، حتى لو نجح بايدن الديمقراطي في الفوز برئاسة البيت الأبيض. دروس تاريخية كثيرة تستوجب التجربة استخلاصاً، لكن المقام لا يتسع للحديث عنها بإسهاب.